

أوائل المسلمين

٥

إسلام النباشة

بقلم
السيد شحاته

أوائل المسلمين

إسلام النباشة

بقلم
السيد شحاته

مكتبة مصر
للطباعة والنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على المبعوث
رحمة للعالمين ، وعلى آله وصحبه ، ومن اهتدى بهديه إلى
يوم الدين .

وبعد :

فهذه صورة صادقة بين يديك أيها القارئ العزيز .
لصفوة من الصحابة الأجلاء الذين دخلوا في دين الله أفواجا
وضحوا بالغالي والثميس في نشر هذه الدعوة المباركة .
وقد جاءت رائعة الأسلوب ، قريبة إلى الأذهان .

والله نرجو أن تكون مفيدة هادية ، وأن يستفيد منها كل
مسلم لأنها مأخوذة من صفحات التاريخ الإسلامي
العظيم .

والله ولي التوفيق

﴿ الْمُسْلِمُونَ يُعَذِّبُونَ فِي مَكَّة ﴾

جَهَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالدَّعْوَةِ ، مُطِيعًا أَمْرَ رَبِّهِ :

﴿ فَأَصْدَعَ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضُ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (١١)

وَمُنِّدٌ أَنَّ جَهَرَ بِهَا اشْتَدَّ إِذْدَاءُ الْكُفَّارِ لَهُ ، وَتَوَالَتْ صُنُوفُ
الْأَذَى عَلَى أَنْصَارِهِ وَأَعْوَانِهِ . وَمِنَ الْمُسْلِمِينَ مَنْ وَجَدَ لَهُ مُعِينًا
يَحْمِيهِ ، وَنَصِيرًا يَدْفَعُ عَنْهُ الْأَذَى ، وَمِنْهُمْ مَنْ كَانَ ضَعِيفًا
مِسْكِينًا ، لَا يَجِدُ لَهُ مُحَامِيًا ، وَلَا مُعِينًا .

وَكَانَ إِيْمَانُهُمْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ شَدِيدًا ، وَكَانَ اتِّبَاعُهُمْ لِلدَّعْوَةِ
الْمُبَارَكَةِ أَصِيلًا ، تَغْلَغَلَ الْإِيْمَانُ فِي قُلُوبِهِمْ ، وَهَانَتْ عَلَيْهِمْ فِي
سَبِيلِهِ أَهْلُؤُهُمْ وَأَوْطَانُهُمْ ، فَتَطَلَّعُوا إِلَى أَوْطَانٍ أُخْرَى ، يَجِدُونَ فِيهَا
مُسْتَقْرًا ، يَطْمَئِنُّونَ فِيهَا ، لِيُعْبُدُوا اللَّهَ ، بِعِيدِينَ عَنْ كُلِّ أَذَى
وَخَوْفٍ .

تَطَلَّعُوا إِلَى أَنْ يَعْبرُوا الْبَحْرَ ، فَاجِبِينَ بِلَيْسِنِهِمْ ، وَمَسْجِهِينَ إِلَى
بِلَادٍ يَجِدُونَ فِيهَا الْأَمَانَ .



إلى ملك عادل

وكانت أخبار الحبشة ، تترامى إليهم ، وتثقل إلى أسماعهم ،
كانوا يعرفون أن على الحبشة ملكاً ليبيّاً ، حازماً ، عادلاً ، ذكياً ،
لم يصل إلى كرسي الملك إلا بعد أن لاقى الشدة والهوان .

ومما عرفوه من أخباره : أنه كان وليّ عهدٍ للحبشة ، ولكن
الأحباش قتلوا أباه الملك ، وولّوا عمه على الملك ، وأبعدوه ،
لأنهم خافوا أن يقف أمام أطماعهم ، ويُجبرهم على التزام
الحق ، واحترام العدل ، وعلموا أن شخصيته القويّة وذكاءه
وعدالته ، كل ذلك لا بد أن يقف كل إنسان عند حده ، وأن
يفصل في الأمور بعقل راجح ، وبصيرة عادلة .

رأى وجهاء الأحباش ، وزعمائهم مكانة هذا الفتى ،
وامتيازَه ، وتفوّقه على كل أبناء الملوك ، فتخوفوا أن يملك
عليهم ، ولا سيما أنهم قتلوا أباه من قبل ، ولربما تكلم بهم ،
وعذبهم ، فعملوا جهدهم ، ليُبعدوه عن الملك .

فمشّوا إلى عمه فقالوا :

- إِمَّا أَنْ تَقُتَلَ هَذَا الْفَتَى ، وَإِمَّا أَنْ تُخْرِجَهُ مِنْ بِلَادِنَا ، فَإِنَّا نَخَافُ مِنْهُ عَلَى أَنْفُسِنَا .

فَقَالَ الْمَلِكُ لَهُمْ :

- وَيْلَكُمْ !! قَتَلْتُ أَبَاهُ بِالْأَمْسِ ، وَأَقْتُلُهُ الْيَوْمَ !!
بَلْ أَخْرِجْهُ مِنْ بِلَادِكُمْ .

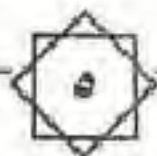
وَفَعَلُوا فَفَعَدُوا عَزْمَهُمْ ، وَأَخْرَجُوهُ مِنَ الْبِلَادِ .

وَبَعْدَ ذَلِكَ أُصِيبَ عَمُّهُ إِصَابَةً قَاتِلَةً مَاتَ فِيهَا ، فَفَزِعَتِ
الْحَيْشَةُ إِلَى أَوْلَادِهِ ، فَإِذَا كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ لَا يَصْلُحُ لِلْمُلْكِ ، لَيْسَ
فِي وَاحِدٍ مِنْهُمْ خَيْرٌ وَلَا أَمَلٌ ، وَاضْطَرَبَتِ أُمُورُ الرُّعْيَةِ ، وَثَارَتِ
الْفِتْنَةُ فِي أَرْجَاءِ الْبِلَادِ .

وَاجْتَمَعَ زُعَمَاءُ الْبِلَادِ وَأَهْلُ الرَّأْيِ فِيهَا مَرَّةً أُخْرَى ، وَقَالَ
بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ :

- لَقَدْ كَانَ رَأْيُكُمْ مَحْطُطًا حِينَمَا أَخْرَجْتُمُ النَّجَاشِيَّ مِنَ الْبِلَادِ
وَأَبْعَدْتُمُوهُ حَتَّى لَا يَكُونَ مَلِكًا ، وَإِنَّ الْبِلَادَ - وَاللَّهُ - لَا يَسْتَقِيمُ
لَهَا أَمْرٌ ، وَلَا يَطْمَئِنُّ لَهَا حَالٌ ، إِلَّا إِذَا رَجَعَ هَذَا الْفَتَى ، فَهُوَ
الْحَازِمُ الَّذِي يَسْتَطِيعُ تَدْبِيرَ أَمْرِ الْمَلِكِ .

وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ يُلُومٌ بَعْضًا عَلَى مَا ارْتَكَبُوهُ ، فِي حَقِّ



النَّجَاشِيُّ ، فخرجوا في طلبه من البلاد التي خرج إليها ، وعملوا
كلَّ ما في وسعهم حتى أرجعوه ، وملكوه عليهم .

سارَّ النَّجَاشِيُّ بعدَ ذلكَ في حُكْمه على خيرِ سياسته ، يشكرُ
رَبَّهُ ، ويعدلُ بينَ رعيَّته ، ويكرمُ الغريبَ ، إذا نزلَ به ، وكانَ
يقولُ :

- ما أخذَ الله الرِّشوةَ مِنِّي فأخذَ الرِّشوةَ منه ، وما أطاعَ الناسَ
في فأطيعَ الناسَ فيه .

الدَّعوة في مَكَّة

استمرت قريشُ تُراجعُ النَّبِيَّ . ليشركَ دينه ، ويُقلعَ عن دعوته
الجديدة ، تارةً بالترغيب ، وأخرى بالترهيب ، والنَّبِيُّ عليه
السلامُ دائبٌ على دعوته ، مُجدِّ في نشرِ دينِ الله .

يُراجعُ قُريشًا ، ويُجادلُها ، ويُسفِّهُ مُعتقداتها ويحُطُّ من
شأنِ آلِهتها ، ويُحاولُ أنْ يأخذَ بيدهم إلى الطريقِ السليمِ .

بشَّتْ قُريشُ من النَّبِيِّ ، وأخذتْ تعتدي على مَنْ أسلمَ



مَعَهُ ، مِمَّنْ اتَّبَعَ الدِّينَ الْجَدِيدَ ، يَحْبِسُونَهُمْ وَيُعَذِّبُونَهُمْ ،
بِالضَّرْبِ ، وَالْكَيِّ بِالنَّارِ ، وَالْجُوعِ ، وَالْعَطَشِ .

وَيَاوِيلَ مَنْ يَضْطَرُّونَهُ مِنْهُمْ ، وَهُوَ يُصَلِّي أَوْ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ ، أَوْ
يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى دِينِ مُحَمَّدٍ !! هُنَالِكَ سَيُنَالُهُ مِنَ الْأَذَى شَيْءٌ كَثِيرٌ .

رَأَى رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَا يُصِيبُ أَصْحَابَهُ مِنَ الْبَلَاءِ
الْعَظِيمِ ، وَلَمْ يَسْأَلْهُمْ فِيهِ مِنَ الْكَرْبِ ، عَلَى حِينِ أَنَّهُ فِي عَافِيَةٍ
وَسَلَامَةٍ ؛ لَتَضُرَّ اللَّهُ إِيَّاهُ ، وَلِتَأْيِيدَ عَمَّهُ أَبِي طَالِبٍ لَهُ ، وَرَدَّ
خُصُومَهُ عَنْهُ ، فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ :

لَوْ خَرَجْتُمْ إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ ، فَإِنَّ بِهَا مَلَكًا لَا يُظْلَمُ عِنْدَهُ
أَحَدٌ ، وَهِيَ أَرْضُ صِدْقٍ ، حَتَّى يَجْعَلَ اللَّهُ لَكُمْ فَرَجًا مِمَّا أَنْتُمْ
فِيهِ .

هَجْرَةٌ

خَرَجَ الْمُسْلِمُونَ - بَعْدَ إِذْنِ النَّبِيِّ لَهُمْ - مُهَاجِرِينَ إِلَى أَرْضِ
الْحَبَشَةِ ، مَخَافَةَ الْفِتْنَةِ ، وَفِرَارًا إِلَى اللَّهِ بِدِينِهِمْ ، وَاتِّقَاءَ طُغْيَانِ
قُرَيْشٍ .

مِنْهُمْ مَنْ خَرَجَ بِنَفْسِهِ ، لَا أَهْلَ مَعَهُ وَلَا وَلَدَ وَمِنْهُمْ مَنْ خَرَجَ

بأَهْلِهِ . واجْتَمَعَ شَمْلُ الْمُهَاجِرِينَ بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ ، وَأَمِنُوا عِنْدَ
النَّجَاشِيِّ ، الَّذِي أَحْسَنَ لَهُمُ الْجِوَارَ ، وَأَفَاضَ عَلَيْهِم مِّنْ كَرَمِهِ
وَبِرِّهِ ، حَتَّى قَامَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْحَارِثِ يَدْعُو الْمُسْلِمِينَ إِلَى الْهِجْرَةِ
إِلَيْهِ ، وَيَقُولُ إِنَّ أَرْضَ اللَّهِ وَاسِعَةٌ ، وَفِيهَا نَجَاةٌ مِّنَ الذُّلِّ وَالْخِزْيِ
وَيَقُولُ :

إِنَّا وَجَدْنَا بِلَادَ اللَّهِ وَاسِعَةً
تُنَجِّي مِّنَ الذُّلِّ وَالْمَخْزَاةِ وَالْهَوْنِ
فَلَا تُقِيمُوا عَلَى ذُلٍّ فِي الْحَيَاةِ وَخِزْيٍ
فِي الْمَمَاتِ ، وَعَيْبٍ غَيْرِ مَأْمُونٍ

أَمِنَ الْمُسْلِمُونَ فِي أَرْضِ الْحَبَشَةِ الَّتِي هَاجَرُوا إِلَيْهَا وَاطْمَأَنَّنُوا
بِجِوَارِ النَّجَاشِيِّ الْعَادِلِ الْبَرِّ الرَّحِيمِ ، وَرَأَوْا أَنَّ الْأَذَى وَالشَّرَّ قَدْ
بَعُدَا عَنْهُمْ بَعْدَ أَنْ فَارَقُوا أَرْضَ قُرَيْشٍ ، وَهَاجَرُوا مِنْ مَكَّةَ إِلَى
أَرْضِ الْحَبَشَةِ الَّتِي هِيَ « أَرْضُ صِدْقٍ » كَمَا وَصَفَهَا رَسُولُ اللَّهِ
صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَامُهُ .



أَذَى جَدِيدٍ

رَأَتْ قُرَيْشٌ أَنَّ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَدْ آمَنُوا ،
وَاطْمَأْنَنُوا ، بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ ، وَأَنَّهُمْ قَدْ وَجَدُوا بِهَا دَارَ اسْتِقْرَارٍ
وَأَمَانٍ .

فَرَأَتْ أَنْ تَبْعَثَ مِنْهَا بَرَجَلَيْنِ قَوِيَّيْنِ إِلَى النَّجَاشِيِّ مَلِكِ
الْحَبَشَةِ ، يُكَلِّمَانِهِ فِي أَمْرِ الْمُهَاجِرِينَ ، حَتَّى يَطْرُدَهُمْ ، وَيُرْجِعَهُمْ
إِلَى بِلَادِهِمْ ، وَيُسَلِّمَهُمْ إِلَى قَوْمِهِمْ مِنْ قُرَيْشٍ ، لِيُذِيقَهُمُ
الْعَذَابَ ، كَمَا كَانُوا .

* * *

بَعَثَتْ قُرَيْشٌ بَرَجَلَيْنِ مِنْهُمَا ، هُمَا : عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيِّ رَبِيعَةَ
وَعَمْرُو بْنُ الْعَاصِ ، وَحَمَلُوهُمَا هَدَايَا كَثِيرَةً إِلَى النَّجَاشِيِّ ، وَإِلَى
وُزَرَائِهِ وَقَالُوا لَهَا :

— اذْفَعُوا إِلَيَّ كُلُّ وَزِيرٍ هَدَيْتُهُ ، قَبْلَ أَنْ تُكَلِّمَ النَّجَاشِيَّ ، ثُمَّ
قَدِّمُوا إِلَيَّ النَّجَاشِيَّ هَدَايَاهُ ، حَتَّى لَا يَأْخُذَ رَأْيَ الْمُسْلِمِينَ فِي
إِعَادَتِهِمْ إِلَيْنَا .

* * *

قَدِمَتْ رَسُلُ قُرَيْشٍ عَلَى النَّجَاشِيِّ ، وَالْمُسْلِمُونَ عِنْدَهُ فِي
أَكْرَمِ جَوَارٍ ، وَأَخَذَ الرَّسُولَانِ : عَبْدُ اللَّهِ ، وَعَمْرُو بْنُ فَرْدَانَ
بِالْوُزَرَاءِ ، وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ ، وَيُقَدِّمُونَ لِكُلِّ وَاحِدٍ رَشْوَتَهُ
وَهَدَايَاهُ الَّتِي حَمَلُوهَا إِلَيْهِ .

وَأَخَذَ الرَّسُولَانِ يَقُولَانِ لَوُزَرَائِهِ :

- إِنَّهُ قَدْ لَجَأَ إِلَيْكُمْ غِلْمَانُ سُفَهَاءَ ، فَارْقُوا دِينَ قَوْمِهِمْ ، وَلَمْ
يَدْخُلُوا دِينَكُمْ ، بَلْ جَاءُوا بِدِينٍ مُبْتَدَعٍ ، لَا نَعْرِفُهُ نَحْنُ وَلَا
أَنْتُمْ ، وَقَدْ بَعَثْنَا أَشْرَافَ مَكَّةَ ، لَتَرُدُّوهُمْ إِلَيْهِمْ ، فَإِذَا كَلَّمْنَا الْمَلِكَ
فِي شَأْنِهِمْ فَأَشِيرُوا عَلَيْهِ : بَأَنْ يُسَلِّمَهُمْ إِلَيْنَا أَوْ يَطْرُدَهُمْ مِنْ دِيَارِهِ
إِلَى دِيَارِ قَوْمِهِمْ ، عَلَى الْأَيْنِاقِشِهِمْ ، وَلَا يَسْأَلَهُمْ شَيْئًا مِنْ أَمْرِهِمْ
لَأَنَّهُمْ كَاذِبُونَ مُضِلُّونَ .

فَوَعَدُوهُمْ بِالْمُوَافَقَةِ عَلَى ذَلِكَ ، وَمُسَاعَدَتَيْهِمَا فِي كُلِّ مَا
يُرِيدَانِ .

تَقَدَّمَ عَبْدُ اللَّهِ وَعَمْرُو بْنُ فَرْدَانَ إِلَى النَّجَاشِيِّ ، فَقَدَّمَا لَهُ التَّحِيَّةَ ، الَّتِي
كَانَ يُقَدِّمُهَا لَهُ أَبْنَاءُ رَعِيَّتِهِ : سَجْدًا أَمَامَهُ ، وَعِظَافَةً ، وَوَقْفًا مَوْقِفَ
الذِّلِّ وَالِاسْتِجْدَاءِ ، ثُمَّ قَدَّمَا لَهُ الْهَدَايَا الَّتِي حَمَلَاهَا إِلَيْهِ .

ثُمَّ قَالَ لَهُ مَا قَدِمَا مِنْ أَجْلِهِ ، وَهُوَ : أَنْ نَفَرَّا مِنْ قَوْمِهِمْ
عَاصِينَ ، فَارَّيْنَا ، خَرَجُوا إِلَى بِلَادِهِ ، وَأَنَّهُمْ جَاءُوا وَرَاءَهُمْ
يَطْلُبُونَ تَسْلِيمَهُمْ ، وَرَدَّاهُمْ إِلَى قَوْمِهِمْ .
وَالْوُزَرَاءُ وَاقِفُونَ مِنْ حَوْلَهُمَا ، يُؤْمِنَانِ عَلَى كَلَامِيهَا ،
وَيُبَشِّرُونَ عَلَى الْمَلِكِ بِتَسْلِيمِ الْمُهَاجِرِينَ إِلَيْهَا .
فَغَضِبَ النَّجَاشِيُّ ، وَقَالَ :

- لَا ، وَاللَّهِ ، لَا أُسَلِّمُهُمْ إِلَيْهَا ، إِنِّي لَا أُسَلِّمُ قَوْمًا
جَاوَرُونِي ، وَنَزَلُوا بِلَادِي ، وَاخْتَارُونِي عَلَى مَنْ سِوَايَ .
وَإِنِّي سَيِّدُهُمْ ، وَأَتَعَرَّفُ عَلَى أَمْرِهِمْ ، وَأَسْأَلُهُمْ عَمَّا يَقُولُ
هَذَانِ الرَّسُولَانِ فِي شَأْنِهِمْ ، فَإِنْ كَانُوا كَمَا يَقُولَانِ أُسَلِّمْتُهُمْ إِلَيْهَا ،
وَرَدَدْتُهُمْ إِلَى قَوْمِهِمْ ، وَإِنْ كَانُوا عَلَى غَيْرِ ذَلِكَ مَنَعْتُهُمْ مِنْهُمْ ،
وَحَافَظْتُ عَلَى جَوَارِهِمْ ، وَعَمَلْتُ عَلَى رَاحَتِهِمْ وَاسْتِقْرَارِهِمْ
بِلَادِي . مُدَّةَ إِقَامَتِهِمْ فِيهَا .

وَاخْتَارَ الْوُزَرَاءُ فِي أَمْرِهِمْ ، وَأَمَرَ رَسُولِي قُرَيْشٍ ، أَمَامَ رَغْبَةِ
النَّجَاشِيِّ ، وَإِضْرَارِهِ ، وَلَمْ يَسْعَهُمْ إِلَّا تَنْفِيذُ رَغْبَتِهِ ، وَالِاسْتِجَابَةُ
لَأَمْرِهِ .

وَأَرْسَلُوا إِلَى الْمُهَاجِرِينَ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ سَلَامٌ اللَّهُ عَلَيْهِ ،
يَدْعُونَهُمْ إِلَى مَجْلِسِ الْمَلِكِ اسْتِجَابَةً لِدَعْوَتِهِ .

فَلَمَّا جَاءَ الرَّسُولُ إِلَى أُمَّةِ الْمُهَاجِرِينَ وَعَرَفُوا أَنَّ النَّجَاشِيَّ
يَدْعُوهُمْ إِلَى مَجْلِسِهِ ، لِمُنَاقَشَتِهِمْ ، وَالتَّعَرُّفِ عَلَى أَحْوَالِهِمْ
اجْتَمَعُوا وَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ :

— مَا تَقُولُونَ لِلرَّجُلِ إِذَا جِئْتُمُوهُ ؟

فَرَدَّ وَاحِدٌ مِنْهُمْ وَقَالَ :

— نَقُولُ لَهُ مَا نَعْلَمُ مِنْ أَمْرِنَا ، وَأَمْرِ نَبِينَا ، كَائِنًا فِي ذَلِكَ مَا هُوَ

كَائِنٌ .

ثُمَّ جَاءُوا إِلَى الْمَلِكِ ، فَوَجَدُوهُ وَاقِفًا يَنْتَظِرُهُمْ ، وَأَسَاقِفَتُهُ
وَاقِفُونَ حَوْلَهُ ، فَقَالَ لَهُمْ :

— مَا هَذَا الدِّينُ الَّذِي فَارَقْتُمْ مِنْ أَجْلِهِ قَوْمَكُمْ ؟ وَلِمَاذَا لَمْ

تَدْخُلُوا فِي دِينِي ؟

فَتَقَدَّمَ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَقَالَ : أَيُّهَا
الْمَلِكُ ، كُنَّا قَوْمًا أَهْلَ جَاهِلِيَّةٍ ، نَعْبُدُ الْأَصْنَامَ ، وَنَأْكُلُ الْمَيْتَةَ ،
وَنَأْتِي الْفَاحِشَاتِ ، وَنَقْطَعُ الْأَرْحَامَ ، وَنُسِيءُ الْجَوَارَ ، وَيَأْكُلُ

الْقَوَىٰ مِمَّا الضَّعِيفَ ، فَكُنَّا عَلَىٰ ذَلِكَ حَتَّىٰ بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْنَا رَسُولًا
 مِنَّا ، نَعْرِفُ نَسَبَهُ ، وَصِدْقَهُ ، وَأَمَانَتَهُ ، وَعِفَافَهُ ، فَدَعَانَا إِلَى
 اللَّهِ ، لِنُوحِدَهُ وَنُعْبُدَهُ ، وَنَخْلَعَ مَا نَعْبُدُ نَحْنُ وَأَبَاؤُنَا مِنْ دُونِهِ ،
 مِنْ الْحِجَارَةِ ، وَالْأَوْثَانِ ، وَأَمَرَنَا بِصَدَقِ الْحَدِيثِ ، وَأَدَاءِ
 الْأَمَانَةِ ، وَصِلَةِ الرَّحِمِ ، وَحُسْنِ الْجَوَارِ ، وَالْكَفِّ عَنِ الْمَحَارِمِ
 وَالِدِّمَاءِ ، وَتَهَانَا عَنِ الْفَوَاحِشِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ، وَقَوْلِ
 الزُّورِ ، وَأَكْلِ مَالِ الْيَتِيمِ ، وَقَذْفِ الْمُحْصَنَاتِ ، وَأَمَرَنَا أَنْ نَعْبُدَ
 اللَّهَ وَحْدَهُ ، لَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا ، وَأَمَرَنَا بِالصَّلَاةِ ، وَالزَّكَاةِ
 وَالصَّيَامِ .

فَصَدَّقْنَاهُ ، وَآمَنَّا بِهِ وَأَتَّبَعْنَاهُ عَلَىٰ مَا جَاءَ بِهِ مِنَ اللَّهِ ، فَعْبَدْنَا
 اللَّهَ وَحْدَهُ ، فَلَمْ نُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا ، وَحَرَّمْنَا مَا حَرَّمَ عَلَيْنَا ، وَأَحْلَلْنَا مَا
 أَحَلَّ لَنَا ، فَاعْتَدَىٰ عَلَيْنَا قَوْمُنَا ، فَعَذَّبُونَا ، لِيَرُدُّونَا إِلَىٰ عِبَادَةِ
 الْأَوْثَانِ ، وَإِلَىٰ أَنْ نَسْتَحِلَّ مَا كُنَّا نَرْتَكِبُ مِنَ الْخَبَائِثِ .

فَلَمَّا اشْتَدَّ إِذَاؤُهُمْ لَنَا ، وَظَلَمُونَا ، وَضَيَّقُوا عَلَيْنَا وَحَالُوا بَيْنَنَا
 وَبَيْنَ الْقِيَامِ بِوَأَجِبَاتِ دِينِنَا خَرَجْنَا مُهَاجِرِينَ إِلَىٰ بِلَادِكَ ، وَاخْتَرْنَاكَ
 عَلَىٰ مَنْ سِوَاكَ ، وَرَغِبْنَا فِي جِوَارِكَ ، وَرَجَوْنَا أَلَّا نُظْلَمَ عِنْدَكَ أَيُّهَا
 الْمَلِكُ .

نَفَذَ كَلَامُ جَعْفَرٍ إِلَى قَلْبِ الْمَلِكِ ، كَمَا تَنْفُذُ الْمِيَاهُ الْعَذْبَةُ إِلَى
الْأَرْضِ الْخَصِيَّةِ ، وَأَعْجَبَ النَّجَاشِيُّ بِمَبَادِيِّ الدِّينِ الْجَدِيدِ ، الَّتِي
ذَكَرَهَا جَعْفَرٌ فِي حَدِيثِهِ أَمَامَهُ ، وَأَخَذَ يَرُدُّ النَّظَرَ ، نَارَةً فِي
الْمُسْتَجِيرِينَ ، وَنَارَةً أُخْرَى فِي رَسُولِي قُرَيْشٍ ، وَنَارَةً ثَالِثَةً فِي
بَطَارِقَتِهِ ، وَهُمْ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ .

وَلَكِنَّهُ - عَلَى الرَّغْمِ مِنْ إِعْجَابِهِ بِكَلَامِ جَعْفَرٍ - كَتَمَ هَذَا
الْإِعْجَابَ فِي نَفْسِهِ ، وَاصْطَنَعَ جِدَّ الْمُلُوكِ ، وَهَيْبَةً مَجَالِسِهِمْ ،
ثُمَّ قَالَ لَجَعْفَرٍ :

- هَلْ مَعَكَ مِثْلًا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ شَيْءٌ ؟
قَالَ جَعْفَرٌ :

- نَعَمْ ! وَجَلَسَ إِجْلَالًا وَهَيْبَةً ، ثُمَّ قَرَأَ :

﴿ كَهَيْعَتِ ١ ﴾ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكِرِيَّا ٢
إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ٣ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ
الْعَظْمُ مِنِّي وَأَشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ
رَبِّ شَقِيًّا ٤ وَإِنِّي خِفْتُ الْغَوَايِي مِنْ وِرَاوِي وَكَانَتْ
أَمْرًا لِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ٥ يَرِثُنِي وَيَرِثْ

مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٦٦﴾ يٰزَكَرِيَّا إِنَّا
 نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا ﴿٦٧﴾
 قَالَ رَبِّ إِنِّي غُلَامٌ لِّىْ غُلَمٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا
 وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ﴿٦٨﴾ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ
 هُوَ عَلَىٰ هَٰئِنٍ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ﴿٦٩﴾

واستمر جعفر في قراءته فقرأ من سورة مريم قدرًا كبيرًا ، حتى
 إذا انتهى من قراءته بكى النجاشي حتى بليت لحيته ، وبكت
 أساقفته من حوله .

ثم قال النجاشي :

- إِنَّ هَٰذَا الَّذِي جَاءَ بِهِ عِيسَىٰ لِيُخْرِجَ مِنْ أَصْلٍ وَاحِدٍ ، ثُمَّ
 وَجَّهَ كَلَامَهُ إِلَى رَسُولِي قُرَيْشٍ ، فَقَالَ :
 - انْطَلِقَا ، فَلَا وَاللَّهِ لَا أَسْلَمُهُمَا إِلَيْكُمَا أَبَدًا .



مَكِيدَةُ عَمْرُو بْنِ الْعَاصِ

خَرَجَ عَبْدُ اللَّهِ وَعَمْرُو ، رَسُولِي قُرَيْشٍ ، يَجْرَانِ ذَيْلَ
الْفُشَلِ ، مِنْ مَجْلِسِ النَّجَاشِيِّ بَعْدَ أَنْ خَذَلَهُمَا ، وَلَمْ يَرْضَ
بِتَسْلِيمِ أَحَدٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ الْمُسْلِمِينَ إِلَيْهِمَا ، وَجَلَسَ كُلُّ مِثْمَا
يُفَكِّرُ فِيهَا يَفْعَلُ ، بَعْدَ مَارَدَهُمَا النَّجَاشِيُّ عَنْ طَلِبِهِمَا ، وَأَجَابَهُمَا بِمَا لَا
يَتْرَكُ لَهَا مُعَاوَدَةَ الْكَلَامِ فِي هَذَا الْمَوْضُوعِ .

وَلَكِنْ عَمْرًا - صَاحِبَ الْحِيلَةِ وَالْمَكْرِ وَالِدَّهَاءِ - لَمْ يَعْتَرَفْ
بِالْهَزِيمَةِ ، وَصَمَّمْ عَلَى مُوَاصَلَةِ مَسَاعِيهِ ، وَنَصَبَ حِيَالَ مَكَايِدِهِ ،
حَتَّى يَنَالَ مَا طَلَبَ ، وَبَصَلَ إِلَى غَرْضِهِ الَّذِي جَاءَ إِلَى الْحَبْشَةِ
مِنْ أَجْلِهِ .

وَأَعْمَلَ فِكْرَهُ :

أَبْنُ يُطْعَنُ الْقَوْمُ فِي دِينِهِمْ ؟ وَأَيْنَ يُطْعَنُ النَّجَاشِيُّ فِي هَيْبَتِهِ ؟
وَفَكَّرَ عَمْرُو ثُمَّ فَكَّرَ ، وَأَخِيرًا اهْتَدَى إِلَى فِكْرَةٍ شَيْطَانِيَّةٍ ،
وَهِيَ أَنَّ لِلدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ رَأْيًا فِي عَيْسَى بْنِ مَرْيَمَ غَيْرِ الرَّأْيِ الَّذِي
يُعْتَقِدُهُ الْمَسِيحِيُّ ، فَلِلْمُسْلِمِ رَأْيٌ يُخَالِفُ رَأْيَ الْمَسِيحِيِّ ، إِذَنْ
فَلْيَجْعَلْ مِنْ هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ مَثَارَ جِدَالٍ وَخِلَافٍ بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ

المسلمين وبين النجاشي المسيحي وأساقفته ، ولكن من أين يبدأ طريقه ، ويصل إلى غرضه ؟

اجتمع مع رفيقه في رحلته عبد الله بن أبي ربيعة ، وذكره بما فعل النجاشي معها ، وكيف خذلها ، وحافظ على جوار المسلمين ، والإحسان إليهم ، ثم قال :

- والله لأتبعه غداً بآراء المسلمين فيه ، وفي دينه ، ثم أرى ماذا يكون منه ؟ والله إنني لمؤمن أنه سوف يقتل المسلمين عن آخرهم متى عرف ما يقولونه في دينه ، وفي عيسى بن مريم . فقال له عبد الله :

- لا تفعل يا عمرو ؛ لأن لنا بهؤلاء المهاجرين صلة وقربة وهم - على أي حال - من أهلنا وأخواننا . قال عمرو :

- والله لأخبرنه أنهم يزعمون أن عيسى بن مريم عبد ، كسائر عبيد الله لا يمتاز على غيره من البشر .

فلما أصبح الصباح ذهب عمرو وعبد الله إلى الملك ، وطلبا أن يؤذن لهما بالدخول عليه ، والمثول بين يديه ، فأذن لهما : فتقدما في احترام وإكبار ، ونطق عمرو فقال :

- أَيْهَا الْمَلِكُ ، إِنَّ هَؤُلَاءِ الْمُسْلِمِينَ يَقُولُونَ فِي عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ قَوْلًا عَظِيمًا ، فَأَرْسِلْ إِلَيْهِمْ . وَاسْأَلْهُمْ عَمَّا يَقُولُونَ .
فَأَرْسَلَ النَّجَاشِيُّ إِلَى الْمُهَاجِرِينَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَحَدَّدَ مَوْعِدًا لِاجْتِمَاعِهِ بِهِمْ .

عَلِمَ الْمُسْلِمُونَ أَنَّ النَّجَاشِيَّ يَطْلُبُهُمْ ، فَاجْتَمَعُوا ، ثُمَّ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ :
- مَاذَا تَقُولُونَ فِي عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ إِذَا سَأَلَكُمُ عَنْهُ ؟
فَقَالَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ :

- نَقُولُ مَا قَالَ اللَّهُ ، وَمَا جَاءَ بِهِ نَبِيُّنَا ، كَائِنًا فِي ذَلِكَ مَا هُوَ كَائِنٌ ، وَلِيَحْدُثَ مَا يَحْدُثُ .

فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى النَّجَاشِيِّ قَالَ لَهُمْ :

مَاذَا تَقُولُونَ فِي عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ ؟

فَقَالَ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ :

- نَقُولُ فِيهِ الَّذِي جَاءَنَا بِهِ نَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ ﷺ : إِنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ ،

وَرَسُولُهُ ، وَكَلِمَتُهُ ، أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ الْعَذْرَاءِ وَرُوحٌ مِنْهُ .

فَمَدَّ النَّجَاشِيُّ يَدَهُ إِلَى الْأَرْضِ ، فَأَخَذَ مِنْهَا عُودًا ، ثُمَّ

قَالَ :

— والله مَا جَاوَزَ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ مِقْدَارَ هَذَا الْعُودِ ، إِنَّهُ هُوَ إِلَّا
خَلْقٌ مِنْ مَخْلُوقَاتِ اللَّهِ ،

فَغَضِبَ الْوُزَرَاءُ مِمَّا قَالَه مَلِيكُهُمْ ، وَهَمَّهَمُوا بِكَلَامٍ غَيْرِ
مِنْهُمْ ، وَزَمَجَرُوا ، إِعْلَانًا لِسُخْطِهِمْ ، وَمُعَارَضَتِهِمْ لِمَا قَالَ
النَّجَاشِيُّ .

فَالْتَفَتَ إِلَيْهِمُ النَّجَاشِيُّ ، وَقَالَ :
— وَإِنْ غَضِبْتُمْ !! وَلَنْ يُغَيِّرَ ذَلِكَ مِنْ الْحَقِيقَةِ شَيْئًا .

ثُمَّ وَجَّهَ كَلَامَهُ لِلْمُسْلِمِينَ فَقَالَ :
— اذْهَبُوا ، فَأَنْتُمْ آمِنُونَ بِأَرْضِي ، مَنْ سَبَّكُمْ غَرِمَ (وَكَرَّرَهَا
ثَلَاثَ مَرَّاتٍ) .

مَا أَحَبُّ أَنْ يَكُونَ لِي جَبَلٌ مِنْ ذَهَبٍ ، وَأَنْتَى آذَيْتُ رَجُلًا
مِنْكُمْ ، رُدُّوا عَلَيَّ هَذَيْنِ الرَّسُولَيْنِ هَذَايَاهُمَا ، فَلَا حَاجَةَ لِي بِهِمَا ،
فَوَاللَّهِ مَا أَخَذَ اللَّهُ مِنِّي رِشْوَةً حِينَ أَعْطَانِي هَذَا الْمَلِكُ .

فَخَرَجَ رَسُولًا قَرِيشٍ مِنْ عِنْدِهِ ، مُخَذُّولَيْنِ كَاسِفَيْنِ .

﴿مَلِكُ ذُو عَقِيدَةٍ﴾

تَنَاقَلَتِ الْحَيَاشَةُ أَفْعَالَ مَلِكِهَا ، وَمَا عَمَلُهُ مِمَّا كَانَ سَبَبًا فِي رَدِّ
رَسُولِي قُرَيْشٍ ، وَامْتَلَأَتِ الْبِلَادُ بِالْأَخْبَارِ ، بَعْدَ الْمُنَاقَشَةِ الدِّينِيَّةِ
الَّتِي جَرَتْ بِحُضُورِ النَّجَاشِيِّ ، وَنَقَلُوا آرَاءَهُ إِلَى كُلِّ مَكَانٍ ، وَإِلَى
كُلِّ إِنْسَانٍ فِي الْحَبَشَةِ .

وَأَوْضَحُوا رَأْيَهُ فِي عَيْسَى بْنِ مَرْثَمٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَأَفَاضَتِ
الْمَجَالِسُ وَالْمَجْتَمَعَاتُ فِي هَذَا الْحَدِيثِ ، بَعْدَ الْجُلُوسَةِ ، الَّتِي
عَقَدَهَا الْمَلِكُ ، وَجَمَعَ فِيهَا بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ الْمُسْلِمِينَ ، وَرَسُولِي
قُرَيْشٍ .

وَاسْتَمَعُوا لِرَأْيِ الْوُزَرَاءِ الَّذِينَ حَضَرُوا هَذِهِ الْجُلُوسَةَ وَعَرَفُوا مَا
كَانَ مِنْ أَنْكَارِهِمْ ، وَزَمَجَرْتِهِمْ ، وَعَدَمِ رِضَائِهِمْ عَنْ آرَاءِ الْمَلِكِ
فِي هَذِهِ الْمُنَاقَشَةِ الدِّينِيَّةِ .

وَامْتَقَرَّ رَأْيُ الْأَحْبَاشِ عَلَى أَنَّ الْمَلِكَ جَاوَزَ حُدُودَ الدِّينِ ،
وَخَرَجَ عَلَى مَا ثَبَتَ فِي أَذْهَانِ قَوْمِهِ مِنْ عَقَائِدٍ ، وَمَبَادِيءٍ .

فَذَهَبَ إِلَيْهِ زُعَمَاؤُهُمْ ، وَكِبَارُهُمْ ، وَلَمَّا صَارُوا عِنْدَهُ قَالُوا لَهُ :

— قَدْ فَارَقْتَ دِينَنَا ، وَخَرَجْتَ عَلَى عَقِيدَتِنَا ، وَطَاوَعْتَ الْمُسْلِمِينَ الْفَارِّينَ عَلَى آرَائِهِمْ ، فَلَيْسَ لَكَ عَلَيْنَا طَاعَةٌ بَعْدَ الْيَوْمِ . ثُمَّ قَامَتِ الثُّورَةُ عَلَيْهِ ، وَظَهَرَتْ فِي الْبِلَادِ أُمَارَاتُ الْفِتْنَةِ ، وَعَلَامَاتُ الْكُرَاهِيَةِ لِلْمَلِكِ .

فَأَرْسَلَ النَّجَاشِيُّ إِلَى جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَأَصْحَابِهِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، فَأَحْسَنَ لِقَاءَهُمْ ، وَشَدَّ فِي عَزَمَتِهِمْ ، وَهَيَّأَ لَهُمْ سُقُنًا ، يَرْحَلُونَ فِيهَا مِنَ الْحَبْشَةِ ، حَتَّى لَا يُصَابُوا بِأَذَى أَوْ مَكْرُوهٍ .

ثُمَّ قَالَ لَهُمْ :

— ارْكَبُوا فِيهَا ، وَكُونُوا ثَابِتِينَ ، صَابِرِينَ ، فَإِنْ هُزِمْتُ فَاْمْضُوا إِلَى حَيْثُ شِئْتُمْ ، وَإِنْ أَنْتَصَرْتُ ، وَظَفِرْتُ فَاثْبِتُوا .

ثُمَّ جَاءَ بَكْتَابٍ ، فَكَتَبَ فِيهِ :

إِنَّهُ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ وَيَشْهَدُ أَنَّ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ . وَرُوحٌ مِنْهُ ، وَكَلِمَتُهُ ، أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ .

حِلَّةُ نَاجِحَةٍ

لَفَّ هَذَا الْكِتَابَ ، وَجَعَلَهُ فِي قُبَائِهِ [جُبَّتُهُ] ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى
أَهْلِ الْحَبَشَةِ النَّائِرِينَ فَقَالَ :

— يَامَعْشَرَ الْحَبَشَةِ ، أَلَسْتُ أَحَقَّ النَّاسِ بِكُمْ ؟
قَالُوا : بَلَى .

قَالَ :

— فَكَيْفَ رَأَيْتُمْ سِيرَتِي فِيكُمْ ؟

قَالُوا : خَيْرَ سِيرَةٍ .

قَالَ : فَمَا لَكُمْ ؟

قَالُوا :

فَارُقْتَ دِينَنَا ، وَزَعَمْتَ أَنَّ عِيسَى عَبْدٌ .

قَالَ :

— أَشْهَدُ اللَّهَ أَنَّ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ .

ثُمَّ سَكَتَ الْمَلِكُ ، وَلَمْ يَزِدْ عَلَى ذَلِكَ شَيْئًا وَإِنَّمَا كَانَ فِي هَذِهِ
الشَّهَادَةِ يُشِيرُ إِلَى عَقِيدَتِهِ ، الَّتِي سَجَّلَهَا بِخَطِّهِ ، فِيمَا كَتَبَهُ ،
وَوَضَعَهُ فِي قُبَائِهِ (جُبَّتِهِ) .

هَذَا الثَّائِرُونَ ، واطْمَأْنُوا إِلَى أَنَّ النَّجَاشِيَّ لَمْ يَكْفُرْ بِعِيسَى بْنِ
مَرْيَمَ ، وَلَمْ يَخْرُجْ عَلَى عَقِيدَتِهِمُ الَّتِي تَوَارَثُوهَا عَنْ آبَائِهِمْ
وَأَجْدَادِهِمْ ، وَانْصَرَفُوا .

وَلَمَّا بَلَغَ النَّبِيُّ ﷺ مَا فَعَلَهُ النَّجَاشِيُّ أَثْنَى عَلَيْهِ ، وَذَكَرَ
كَرَمَهُ ، وَحُسْنَ مَعْرِفِهِ .

وَلَمَّا مَاتَ ، وَعَرَفَ النَّبِيُّ خَبْرَهُ صَلَّى عَلَيْهِ صَلَاةَ الْغَائِبِ ،
وَاسْتَغْفَرَ لَهُ .





دار الفكر
للطباعة والنشر والتوزيع
١٠ - طريق المطار - القاهرة - مصر ١١٥١١٠٠
ت : ٩٦٤٨٧٠ - ٩٦٤٨٦٠ فاكس : ٩٦٤٨٦٠

رقم الإيداع : ١١١١ ١٩٩٦

الترقيم الدولي : 977-0149783-6 I.S.B.N